لوبيا المجهولة

للأستاذ علي محمد الطرابلسي

قال الأستاذ الجليل الحصري بك في مقاله « بين الوحدة العربية والوحدة الإسلامية » في الرسالة عدد ٣٢٨ : « إن العالم الإسلامي يشمل : الأقطار العربية وتركيا وإيران والأفغان وتركستان . مع قسم من : الهند وجزر الهند الشرقية وبلاد القفقاس ، وأفريقيا الشمالية مع قسم من أفريقيا الوسطى » .

وردّ عليه الأستاذ أبو الوفا بقوله : « فالأستاذ الحصري يوهم أن الأقطار العربية هي فقط مصر والشام والعراق والحجاز واليمن . أما أفريقيا الشمالية التي تبتدئ من تونس وتنتهي بمراكش ، فهذه عنده بلاد إسلامية وليست بعربية . فهل هذا هو الحق يا سيدي الأستاذ ؟ » — الرسالة عدد ٣٣٤ .

فالأستاذ ساطع الحصري بك عدد البلاد الإسلامية ولم يهتد إلى ذكر لوبيا منفردة ، لأنها في رأيه ورأي الحقيقة الجغرافية قطر من أقطار أفريقيا الشمالية ، لا فرق بينها وبين تونس والجزائر والمغرب الأقصى . ولكن الأستاذ أبو الوفا لم يصل إلى علمه أنها من أفريقيا الشمالية ، ولم يفهم من كلمة الأستاذ الحصري دخولها في هذا القسم من البلاد الإسلامية ، فذهب يحدد أفريقيا الشمالية بأنها تبتدئ من تونس وتنتهي بمراكش . فأخرج هذا القطر الذي يدعوه التاريخ « لوبيا » ، وموقعه بين مصر وتونس من حساب الإسلام والعربية .

ولسنا ندري متى انتحل هذا القطر ديناً غير الإسلام ، ومتى اختار له لغة غير العربية ! وقد فارقته سنة ١٩٣٦ وتركته بخير وعافية ، وقضيت ثلاث سنين بين تونس والجزائر ، فلم أسمع عنه ما يريب .

لو ترك الأستاذ تبيين كلمة الأستاذ الحصري ، أو شرحها بغير هذا الشرح المحصور ، لما سمع منا شيئاً ، ولكنه حرك فينا عاطفة قد آذاها ما كانت تراه من إخواننا في تونس والجزائر والمغرب من إعراض وازورار . وجرحنا مرة أخرى بنكرانه عربية بلادنا وإسلاميتها بما يفهمه شرحه لكلمة الأستاذ الحصري بك قصد ذلك أو لم يقصده . وقد آلمه ألا تعد أمته من الأمم العربية ، فما رأيه وقد أخرجنا من العروبة والإسلام ؟

ما رأيه في إسلام لوبيا وقد سبقته إلى الفتح الإسلامي سنين وكانت معقلاً وممراً لغزاة العرب لما أرادوا فتح بلاده وتعريبها ؟

ما رأيه إذا أخبرته أن فتح لوبيا كان في زمن عمر ، ولم يكن فتح بلاده إلا في خلافة عثمان ؟

لو كانت هذه الكلمة أول ما رأينا من إخواننا في الأقطار الثلاثة لما احتجنا إلى كلام . ولكنهم — عفا الله عنهم — لا يحبون أن تكون لوبيا من أفريقيا الشمالية برغم ما بذلته من جهود . وعند الأستاذ عبد الحميد بن باديس الخبر اليقين . ولعله لم ينس بعدُ رحلته إلى تونس سنة ١٩٣٦ وما لاقته به البعثة الطرابلسية من حفاوة وما وجهته إليه من لوم وعتاب . ولعله لا يزال يذكر ذلك العهد الذي عاهدهم عليه بحضرة رئيس جمعية الشبان المسلمين . ذلك العهد الذي أكد لهم فيه ألا يتحدث عن شمال أفريقيا إلا ويبدأ من لوبيا ، بعد أن حاضر وحاضر فلم تجرِ له على لسان

إن إخواننا بتونس والجزائر والمغرب لا يعترفون أو لا يريدون أن يعترفوا أن لوبيا من الشمال الأفريقي ، ولذا لا يرعون لها حق الشقيقة وواجبات الأخوة . وليس يضيرها أن تكون من هذا الشمال أو لا تكون ، ما دامت لا ترجو لمستقبلها غير أبنائها . ولكن يؤلمها أن تنفصل عن أخوات يربطها بهن لحمة النسب والأخوة ، وأواصر اللغة والدين ، ويؤذيها أن تتحبب إليهن فيصغرنها ويتجاهلنها

إن لوبيا ، وهي في جهادها الشريف العنيف ، تكابد آلامها المرة ، وتحمل أعباءها الثقال ، بدون مناصر ولا معين — لا يحسن بمسلم أن يؤلم عاطفتها المكلومة وقلبها الدامي ، بشيء يشعرها بانفرادها عن العالم العربي الإسلامي . ولا يجمل بإخواننا — وهي فيما هي فيه من محنة وعذاب ، أن يزيدوها ألماً على ألم

إن إخواننا بالأقطار الثلاثة لا يذكرون ، أو لا يحبون أن يذكروا أن لوبيا أخت لبلادهم . فهل كانوا في ذلك من المصيبين ؟

الحق أنهم أخطأوا خطأً فادحاً ، وإن يستطيعوا قطع الجوار وحجز الثقافة ، وتفريق اللغة والدين ، بفضل ما بذله اللوبيون من جهود ، وقاسوه في ربط العلائق من جهاد

وإنهم إن استطاعوا أن يتناسوا ذكرها مع أفريقيا الشمالية ، فلن يستطيعوا إنكار ما لها في هذه الأقطار من أياد ، وما خلفته فيها من آثار

إن لوبيا أيها الناس ! ليست بالقطر الذي أغفله التاريخ وعدم المجد والشرف ، وهي صاحبة قورناء في التاريخ القديم . إنها لا زالت تضرب المثل العليا لبنى الإنسان في علو الهمة وطهارة

الضمير ، وأبناؤها المشردون فى البلاد العربية ، الشرقية والغربية شهداء على ذلك . فهل وعيتم ماذا أقول ؟

هل تذكرون أن من بواعث نهضة الشرق ويقظة العرب صليل السيوف ودوى المدافع فى لوبيا ؟

ولعلها من أول بلاد أحيت الروح العربية ، وذكرت الناس بمجدهم المهدوم وتاريخهم الوضاء ! فهل تحفظون لها هذا الجميل ؟

لم تكن لوبيا ميتة الإحساس ولا خامدة المشاعر ، ولم تكن خافتة الصوت ولا الحركة ، كما قد يخطر ببال كثير

إن فى لوبيا حركة أدبية وعلمية لا بأس بها ، لعلها تفوق فى ذلك بعض أقطار عربية أخرى ، ولكن من ذا يرى مقدار تقدم ثقافتها ، ويلمس من قريب دلائل الحياة وسمات القوة فيها ؟

هل زارها أدباء عرب طوفوا بالغرب ، وعلموا خبايا الشرق ، لعلهم يرجعون منها بخبر ؟

هل أنبأونا عما شاهدوا فيه من مظاهر الحياة أو نذر الموت ؟

هل رأوا ما فيه من مساجد وجوامع وكليات ؟

وكيف رأوا حالة المكاتب والمطابع ونظم التعليم هناك ؟

إن رجال العربية — عفا الله عنهم نسوا هذا القطر ، وانحت من ذاكرتهم كلمة لوبيا . ولو قدر لأحدهم أن يدخل إيطاليا من بحر العرب ، أو يزور صقلية ، أو يتنقل من الشرق إلى الغرب ، أو من الغرب إلى الشرق ، لما حدثته نفسه ، أن يقف بمرسى طرابلس ، أو يتأمل شواطئ بنغازى ، ولما طاوعته إرادته أن يدخل خليج السرت ، أو يمتع نظره بجمال الجبل الأخضر

إن لوبيا — أيها الناس — لم تنس حظها فى خدمة اللغة العربية ، برغم ما يعوقها من عقبات ، ويعترض سبيلها من صعاب : فأرسلت بعثات علمية إلى الأزهر كما كان لأخواتها فى الغرب والشرق من البلاد العربية ، وإن كنت أعترف أنها فقيرة إلى كثير من الاصلاحات والنظم ، وزيدت حلق (الزيتونة) بعدد لا يستهان به وإن كان لا يزال محتاجاً إلى تنظيم أموره وتوحيد مسكنه ورعاية مصالحه ، ورأت الحاجة ماسة إلى تعلم بعض اللغات الحية غير العربية ، فكونت بعثة أخرى بإيطاليا منبثة فى معاهدها

أيها الأستاذ ! سأحدثك عما قريب عن العربية والإسلام فى هذا القطر ، سأحدثك عما يصطرع فيه من أهواء وآمال ، ويتقالب من حقائق وأباطيل

وسأنبئك عن حالة التعليم والثقافة هناك ، ومظاهر الحياة والطموح ، وسأريك كيف يعمل الرجال فى ذلك القطر الذى جهلته وجهله كثير من الناس

سأحدثك كثيراً أيها الأستاذ يوم أرجع من (مجاهل) أفريقيا الشمالية ، وأكون بين أهلى وأبناء وطنى ، أما اليوم فقد لا أستطيع الاتصال بكثير من الحقائق التى تدعم حديثى ، وقد تغيب عنى كثير من الشئون التى يجب أن أحدثك عنها

ولولا لحظات مسترقات يا سيدى ، لما استطعت كتابة هذه الكلمات . وأخيراً أقدم أعطر الثناء إلى كل من ذكر لوبيا بخير وتحدث عنها بالجميل . ولا يسعنى إلا أن أزف إلى الأستاذين اللذين حملانى على كتابة هذه الكلمات — الحصرى بك وأبى الوفا — أرق التحايا وأزكى التسليمات

(الجزائر) على محمد الطرابلسى

الافصاح فى فقه اللغة

معجم عربى : خلاصة المخصص وسائر المعاجم العربية . يرتب الألفاظ العربية على حسب معانيها ويسعفك باللفظ حين يحضرك المعنى . أقرته وزارة المعارف ، لا يستغنى عنه مترجم ولا أديب ، يقرب من ٨٠٠ صفحة من القطع الكبير . طبع دار الكتب .

ثمنه ٢٥ قرشا يطلب من مجلة الرسالة
ومن المكتبات الكبيرة ومن مؤلفيه :
حسين يوسف موسى ، عبد الفتاح الصعيدى

لا آلام بعد الآن !
أحدث الاكتشافات العلمية فى صحة الفم ، اليوردين عجينة للأسنان :
يوردكالكيلور
المطلب للشركة العلمية الخاصة سرجلا نهورمين ص برسته ٢١٠٥ بمصر